أثـر أبی‌العلاء المعرّی فی الشعر العربی المعاصر

دکتر شهریار نیازی

استادیار دانشگاه تهران[1]

دکترحسین گلی

استادیار دانشگاه اراک

(از ص۲۵تاص٤٦)

تاریخ دریافت مقاله ۸۹/۰۷/۲۸، پذیرش۹۰/۰۱/۲۸

چکیده:

ابوالعلاء معری در ادبیات کلاسیک عربی صاحب فکر و اندیشهٔ ویژه‌ای است. او در اوج باروری و غنای ادبیات عربی زیسته است. این شخصیت ادبی و فکری، بسیاری از ادبای بعد از خود را به شیوه‌های گوناگون تحت تأثیر قرار داده است. شاعران معاصر نیز با کمک گرفتن از ادبیات او، جریان ابداعات خود را رونق بخشیدند و خیال شعری خود را از این رهگذر بارور ساختند. سخن‌سرایانی همچون: احمد شوقی، محمود سامی البارودی، عبدالوهاب البیاتی، أدونیس و... به روش‌های متفاوت به دنباله‌روی از ابوالعلاء معری پرداختند و در جهت غنای شعر خود، گاه ابعاد ژرف شخصیت او را برجسته کردند وگاه به معارضه با او برخاستند.

از این رو، فراخوانی ابوالعلاء در اشعار آنان اقدامی نو در به کارگیری ادبیات غنی گذشته می‌باشد و تنوع خیال را سبب می‌شود. از این روی، شاعران معاصر عربی جهت به تصویر کشیدن تجربه‌های شعری خود، ابعاد شخصیتی او را در شعرشان به کار گرفتند و از او تأثیر پذیرفتند.

واژه‌های کلیدی: ابوالعلاء المعری، الشعر الجدید، التوظیف، المعارضات.

[1] استادیار دانشگاه تهران Shniazi @.ut.ac.ir

Archive of SID

www.SID.ir

المقدمة

لقد تنوّعت اساليب البيان للإبداعات الفنّيـة والـشعرية فى العـصر الحـديث مواكبـة مـع تغيّرات المجتمع الثقافية و السياسية و الأدبية فشاعت ظاهرة التـأثّر بـالتراث بمـا فيـه التـراث الأدبى على نحوٍ لم يعرفه الشعر من قبل، حتى اصبحت سمة من ابرز سمات هذا العصر، و كـثيراً ما ارتدّ الشعراء المعاصرون إلى التراث الأدبى تعبيراً عن تجاربهم المعاصـرة إلى جانـب إثـراء ادبهم، و هذا لايتوفّر لديهم الاّ بالعودة إلى التراث والتأثر بمعالمه و استحضار صـوت الـشعراء القدماء، و منهم ابوالعلاء المعرّى بشخصيته المتميزة و أدبه الرفيع و موهبته الفريـدة، و يـسعى هذا المقال إلى فحص امكانية الرّبط بين تأثير ابىالعلاء المعرى فى الشعر المعاصر بطرق مختلفـة، و توظيف شخصيته فى ادب الشعراء الكبار؛ كعبدالوهاب البياتى، و ادونيس، و غيرهـم، لـذلك قد بادر هؤلاء الشعراء إلى استدعاء ابىالعلاء، و استحضار صوته خـلال النـصف الاول مـن القرن العشرين فهذا التعامل مع التراث الأدبى المتمثّل فى ادب المعرّى لاينحـصر فى توظيفـه و استدعاءه. بل تعدّاه إلى المعارضات و احتذاء نهجه الفنّـى فى اللّزوميـات، اذن يهـتم الباحـث بدراسة ادب المعرّى و اثره فى الشعر العربى المعاصر، و تحليل ابعاد التجارب المعاصرة مـستمداً من لمحات شخصيته، بعد أن يمهّد الطريق للدخول فى صلب الموضوع بتعريف مختصر عـن ابـى العلاء المعرى، و شرح ملامح شخصيته المتميزة و معالم ادبه الرفيع:

مكانة أبىالعلاء المعرى فى الادب العربى

لأبىالعلاء المعرى مكانة خاصة فى الأدب العربى لتعرفه علىالفلسفة والثقافات المختلفـة و بميزاته الخُلقية، و عزلته عن الناس، و عدم التعود على الحياة العاديـة، و براعتـه الخاصـة فى الأدب و الشعر و الرؤية النقدية، لذلك يعتبر عموداً صامداً فى الأدب العباسى، فيعتمد على مـا بناه من الفكرة التحرّرية و النظرة العميقة إلى الحياة، لذلك هو مصداق حقيقى للمثل «كـلّ ذى عاهةٍ جبّار» فاستطاع أن يظهر كشاعر عملاق، لا فى الأدب العـربى فحـسب، بـل فى الآداب العالمية، قال الدكتور طه حسين فى شأنه «كان هؤلاء الشعراء الثلاثة بشار والمتنبى، وأبوالعـلاء

Archive of SID
www.SID.ir

کباراً فی أنفسهم، و کانت کبریائهم أظهرما سیطر علی حیاتهم من خصلة.» (طه حسین، ص۷۴)

ثم وازن بین کبریاء الثلاثة و قال «أما کبریاء أبی‌العلاء فقد جرعته مزاجاً من الألم و اللذة فی اثناء حیاته الطویلة، ولکنه ألمٌ یطهر النفس و لایفسدها، ولکنها لذةٌ ترفع النفس و لاتضعها و لاتضعّفها» (المصدر نفسه، ص۷۵)

فقد اتسمت شخصیة أبی‌العلاء بالتشاؤم فی الحیاة و برز هذا التشاؤم فی آثاره، و اتخذ موقفاً سلبیاً تجاه الحیاة، و قد تحمل لأجل هذا الموقف مصائبَ شتّی، و قد ذابت شخصیته فی الشدائد و المحن.

ترجع براعة أبی‌العلاء إلی التعبیر عما تنفعل به نفسه فی مختلف ظروف حیاته، فأصبح من الشعراء الکبار الذین جعلوا عامة شعرهم و أدبهم صورة حیة لاتجاههم الفکری و النفسی، و قد ظهرت شخصیته جلیة واضحة فی أدبه.

و قد شجع هذا الأمر کثیراً من الشعراء القدامی و المحدثین علی أنْ یتأثّروا به علماً و أدباً و بطرق مختلفة حتی کأنه فی شعر الشعراء حیٌّ یبث روح الابداع و الفکرة العمیقة فی دمهم.

أثر أبی‌العلاء فی الشعر المعاصر

لیس من العجیب أن یکون أبوالعلاء بارعاً فی التصویر، صادقاً فی التعبیر لایشوب أدبه التملق و التکسب، فیکون لشعره صدی عمیقاً فی نفوس الشعراء المحدثین، لذلک وجد هؤلاء الشعراء فی موقف أبی‌العلاء مثلاً أعلی لهم مستحقاً للإحتذاء و التأثّر بلمحات أخلاقه و أدبه المتمیز، کما حظی أبوالعلاء باعجاب المحدثین بنزعته الانسانیة إذ یظهر بارزاً فی التراث الأدبی إذن الاتصال مع هذا المصدر الغنی فی التراث یغنی الکثیر فی الشعر الحدیث قبل انحداره فی دروب الضعف التی سیطرت علیه عدّة قرون طویلة.

و نستطیع أن نلمس علاقة هؤلاء الشعراء المعاصرین الوثیقة بأبی‌العلاء و شعره فی الاشارات التی اعترفوا بها بالتتلمذ علیه و حبهم له و الاحساس بالأمن فی صحبته، فیقول

www.SID.ir

صلاح عبد الصبور فی هذا الصدد: «إن أباالعلاء عندی هو ثلاثة ارباع الشعر العربی و الربع الباقی یتقاسمه أبونواس و ابن الرومی و المتنبی و غیرهم.» (صلاح عبدالصبور، ص ۱۱۲)

و یقول الزهاوی رافعاً من شأن أبی‌العلاء معترفاً بفضله:

و إنّ أکبر شیء فیک یعجبنی — سخریة بتقالید و عصیان
إنی تتلمذت فی بیتی علیک و إن — أکلت عظامک أزمان و أزمان
أصابنی فی زمانی ما اصابک من — حیف فمارد هذا الحیف إنسان

(هلال ناجی، صص ۸۲، ۸۳)

أما تأثیر أبی‌العلاء فی الشعر الحدیث فیتبلور فی الاسالیب المختلفة و هی:

۱.تقدیم بیت أو أبیات من أبی‌العلاء المعری

۲. احتذاء النهج الفنّی المسمّی بلزوم مالایلزم

۳.توظیف شخصیة أبی‌العلاء و استخدامها تعبیراً فنیاً

۴. المعارضات الشعریة للشاعر أبی‌العلاء

فهذه الطرق و إن تختلف نوعیتها و میزاتها عن بعض، لها اهمیة خاصة و تأثیر وافر فی تمکن الشاعر المعاصر استمداداً من سموّه الأدبی لإنقاذ الأدب الحدیث من التدهور و الضعف.

تقدیم بیت أو أبیات فی القصائد

فقد تعوّد بعض الشعراء فی العصر الحدیث علی التقدیم لبعض قصائدهم ببیت أو أبیات لأبی العلاء المعری و فی ذلك مافیه من الأشارة إلی فضله فالشاعر محمود طه قدم لقصیدته «امرأة و شیطان» ببیت أبی‌العلاء:

لحاکِ الله یا دنیا خلوباً — فأنتِ الغادة البکر العجوزِ

فنازك الملائکة تشیر إلی فحوی القصیدة مشیرةً إلی تقدیم هذا البیت کرمزٍ لما تحویه القصیدة لأنّ الشاعر لایقدم البیت هذا عفویاً فی قصیدته.(الصومعة و الشرفة الحمراء،ص ۲۷۷)

www.SID.ir

إلی جانب القصائد الشعرية قد قدّم بعض الكتّاب فصولاً من كتبهم بأبيات للمعرّی من ذلك كتاب «فجر الحياة» للعالم الامريكی جوزيف راشن الذی صدّر الفصل الثالث منه ببيت أبی‌العلاء:

كمن يحدو و ليس له بعير و من يرمی و ليس له سهام

(جوزيف هـ. راشين،ص ۳۵٦)

الكاتب فی تقديمه لهذا البيت يلمح إلی الصعوبة البالغة فی تناول الموضوع دون أیّ معرفة و اسباب و وسائل، كما قدّمت الشاعرة ملكة عبدالعزيز لقصيدتها «كبرياء الخلق» ببيت ابی‌العلاء:

و أعجب منی كيف أخطیء دائماً علی أننی من أعرف الناس بالناس

(ديوان اغنيات الليل، ص۱۲۳)

والقاریء أو المتلقی يستوعب سريعاً ماينويه الشاعر بتقديمه لبيت ذی شجون كهذا لأنَ المطلع أو مستهل القصيدة يدلّ علی الفحوی و يقوم بدور الباب للدخول فی القصيدة إذن الاستمداد من بيت كهذا له حقل دلالیّ واسع، هذا هو القدر الذی حصلنا عليه فی تأثّر الشعراء المعاصرين بهذا الاسلوب و ربمّا يكون أكثر من أن يعدّ.

انتهاج النهج الفنی المتمثل فی اللزوميات

لاينحصر تأثير أبی‌العلاء فی الشعر المعاصر فی طريقة واحدة بل يتعداه إلی انتهاج النهج الفنّی المعروف بلزوم مالايلزم فأنشأ بعض الشعراء دواوين شعرية التزموا فيها بالمبادیء التی التزمها ابوالعلاء و من هذه الدواوين «لزوميات مخيمر» و صاحبه هو أحمد مخيمر الذی اصطنع اللزوم و كتب اشعاره فی ذلك الديوان و قد صرّح فيه باقتفائه لأثر أبی‌العلاء قائلاً: «و علی‌الرغم من أننی لا أملك قدرة المعرّی اللغوية و لا تؤثّر فی نفسی ظروف كظروفه، فقد رأيت أن أعارضه فيما ذهب إليه بهذا الضرب من الكلام الذی اختار هو لنفسه و قيدها به و

www.SID.ir

ساقها إليه و قد دفعنی إلی ذلك أنی أردت أن اسلك فی التعبير سبيله التی سلكها و أنْ أجعل لشعری نفس التأثير الموسيقی الذی أراد أن يجعله لشعره» (علی الجندی، ص ۱۷)

و معظم لزوميات أحمد قصيرة و لاتجاری لزوميات ابی‌العلاء اطلاقاً كما يعترف نفسه بذلك لكن فی جملتها، خفيفة الظل، عذبة الروح، خالية من الافكار المزدحمة المعقدة و الأخيلة الجامحة، و يقل فيها التكلف و الغرابة و هی نتاج تأملات فلسفية و اجتماعية و صدی احداث مختلفة، و انعكاسات احلام و آلام و آمال.

و من ابياتها:

لايلبث الدهر أن تتری عجائبه ... حتی تمدّ إلی المريخ أسيافا

قذيفة الدر مرت سوف تتبعها ... قذيفة تجعل المحسوس أطيافا

إذا صعدنا إلی المريخ بعد غدٍ ... و هَزَّنا الشوق زرنا الأرض أضيافا

(المصدر نفسه،ص ۵۶)

إنّ حرص الشاعر أحمد مخيمر علی الشعر اللزومی هذا لاضير فيه فمع اعترافه بالقصور يعدّ بحق تلميذاً بارّاً مخلصاً للمعرّی، و قد التزم احمد مخيمر بقافيتين فی شعره متأثراً بابی‌العلاء المعری فی اللزوميات.

و قد اشتمل ديوان «لزوميات و قصائد أخری» لعبد اللطيف عبدالحليم علی قصائد و مقطوعات جاری فيها أباالعلاء فی التزام مالايلزم، و من الأمثلة علی ذلك هذه الابيات:

لاتشعلی القلب إنما انطفأت ... رغابه حين ضمها الوَسَنُ

أوتو قظی الريحَ إنها خمدت ... وردها عن جماحها أسَنُ

احسبنی لا الخداع يبسم لی ... ولا يرانی فی جذبه رسَنُ

(لزوميات و قصائد اخری، صص۳۷-۹۸)

يبرز تأثر الشاعرأحمد مخيمر بالمعری و اضحاً فی تمسكه بقافيتين (سَنُ).

و يبدو أن هذا الشعر اللزومی لم يقع فی شعر المعاصرين، إذ استثنينا مخيمر و عبداللطيف إلا فلتات و من غير ارادة، لذلک لانشعر به، و هم غالباً لا يفطنون له أو علی الأصح لايأبهون له و لايعنون به، و لعلّ السبب يرجع إلی أن أباالعلاء قد تمسّک بالأسس

Archive of SID
www.SID.ir

القدیمة إلی حدٍّ بعید و أکثر من الابداعات الجدیدة وایضاً لأنّ اللزومیات و اسلوبها لم تعد مناسبة فی التعبیر عن التجارب المعاصرة إلی جانب قصور الشعراء المحدثین عن الموهبة التی کان یمتلکها أبوالعلاء و هو ما ظهر بوضوح فی اشعارهم.

توظیف شخصیة أبی‌العلاء فی الشعر المعاصر

رغب الشعراءُ المعاصرون فی توظیف شخصیة أبی‌العلاء المعری فی اشعارهم و استخدامها تعبیراً فنیاً لحمل بعدٍ من أبعاد تجاربهم الفنیة فأصبحت وسیلة تعبیریة فی ایدیهم یعبرون من خلالها عن رؤیتهم المعاصرة فاعتنی الشعراء کثیراً بأبی‌العلاء رمزاً للقضایا الاجتماعیة و الفکریة و الفنیة، وصلت علاقة الشعراء به إلی حدٍّ أصبح محور قصائد کاملة کقصیدة «حوار مع أبی‌العلاء» لنجیب سرور فی دیوانه (لزوم مایلزم) و قصیدة «محنة ابی‌العلاء» و قصیدة «موعد فی المعرّة» للبیاتی و قصیدة «أبوالعلاء» لفاروق شوشة و قصیدة «ابوالعلاء» للأخطل الصغیر و«أبوالعلاء المعرّی» لأحمد محرم و قصیدة «من القاهرة إلی المعرة» لمحمد العلائی إلی جانب القصائد الکثیرة لمحمد مهدی الجواهری و محمد البزم و بدوی الجبل و عمر أبو ریشة و غیرهم ممن شارکوا فی المهرجان الألفی لأبی‌العلاء الذی أقیم قبل سنوات فی مسقط رأسه فی مدینة معرّة النعمان.

و الآن نقوم بتحلیل القصائد الشعریة التی وظف فیها اصحابها شخصیة ابی‌العلاء المعری:

عبدالوهاب البیاتی:

لقداهتم البیاتی بتوظیف ابی‌العلاء بشکل قناعی فی قصیدته المشهورة «محنة ابی‌العلاء» اذ یتضح التداخل بین الشخصیات الموظفة واضحاً منذ البدایة لأنه وظف إلی جانب ابی‌العلاء شخصیة «جالیلیو» المشهورة الذی کان قد اکتشف دوران الأرض و عدم ثبوتها، فهذه القصیدة تتکون من عشرة مقاطع: «فارس النحاس، العباءة و الخنجر، المغنی و الأمیر،سقط الزند، حسرة

Archive of SID
www.SID.ir

فی البغداد، قمر المعرة، لزومیة، لتکن الحیاة عادلة، الضفادع، و لکن الأرض تدور» و تبدأ بهذه الابیات:

لمن تغنی هذه الجنادب
لمن تضیء هذه الکواکب
لمن تدق هذه الأجراس
و این یمضی الناس؟
هذا بلا أمسٍ و هذا غده قیثارةٌ خرساء
وذا بلا وجهٍ، بلا مدینةٍ، وذا بلاقناعْ

(سفر الفقر و الثورة، ص ۲۵)

هذه القصیدة انتشرت فی دیوانٍ مسمی بـ «سفر الفقر والثورة» و هو فی هذا الاطار من اشد قصائد البیاتی دلالة علی المرحلة الجدیدة التی بلغها شعر البیاتی، فی تطوره و اکثرها وضوحاً للتعبیر عن مشاعره الصادقة تجاه المجتمع و یوظّف شخصیة ابی‌العلاء فی الأبیات التالیة:

حرمتنی من نعمة البیضاء
علمتنی‌ثقل غیاب الکلمات و عذاب‌الصمتِ و البکاء
والباب أغلقت إلی الأبد
ثلاثة منها أطل فی غد علیک
مقبلاً یدیک
لزوم بیتی و عمایَ و اشتعال الروحِ فی الجسدْ

(المصدر نفسه،ص۲٦)

یتردد الشاعر بین الشخصیتین فی الأبیات المذکورة معبراً عن تجربة شعریة هی الانتقال من مرحلة إلی أخری و استخدام نوعیة الکلمات «ثقل غیاب»، «عذاب الصمت و المیت» ... تدلّ علی ماتجشّم البیاتی من المحن و المصائب و فی الأبیات الأخیرة دلالة واضحة علی أبیات

Archive of SID

www.SID.ir

ابی‌العلاء:

أرانـــی فـــی الثلاثة مـــن ســـجونـــی فلا تـــسأل عـــن الخبـــر النَّبیثِ

لفقـدی ناظـــری، و لـــزوم بـیتـــی و کونِ النفسِ فی الجسدِ الخبـیثِ

(لزوم مالایلزم،ص ۲۴۹)

و ما تستحق لإستدعاء شخصیة أبی‌العلاء و التقنع بها هی عزلته و المبالغة فی تمجید العقـل و حیاته الهادئة و الصمت الذی اختاره تجاه المحن و المشاکل، إذن البیـاتی وظّـف أبـاالعلاء فی شعره لیعبّر عن المحن و المصائب التی مرّت به، فأضفی اللـون الایجـابی لشخـصیة ابی‌العـلاء و عزلته من الحیاة فیتمثل ذلك فی تدخل البیاتی المباشر للتصریح بالمعانی التی یریدها و قد جری ذلك فی مقطع «سقط الزند» من قصیدة «محنة ابی‌العلاء» إذ عرض الشاعر فیـه صـورة لمجلـس الأمیر و الشعراء و الأدعیاء المنافقین من حوله و هم ینشدون، و یبلغ الـشاعر ذروة الـسخریة فی تصویر جبروت الحکم حین یجعل أحد الشعراء ینشد:

مـــولای هـل یـخفی القـمر مجلسه کان یعجّ بدواب الأرض و الهوامْ

(سفر الفقر و الثورة ،ص ۲۱)

و یسخر من شویعر هکذا حتی یقول فی جوانب سؤال «هل یخفی القمر»؟

و یـغضـب الأمـیر

و یـصفـع الشاعرَ، فالقمر

یـغیـب کل‌لیلة فـی‌صفحة الغدیرْ

(المصدر نفسه،ص۳۲)

غیر أنّ الامیر یغضب لهذا التشبیه لأن القمر یغیب کل لیلة فی صفحة الغدیر... و هنـا یتـدخل الشاعر فی طبیعة القصیدة، فیتحدث بنفسه عن أبی‌العلاء کأنه لم یـسعفه البنـاء الـشعری علـی الاستمرار بالصورة الدرامیة إلی نهایتها فیقـول متحـدثاً عـن الفـرق بـین أولئـک الأدعیـاء المنافقین من الشعراء و بین ابی‌العلاء:

کان زماناً داعراً، یا سیدی، کان بلاضفافْ

Archive of SID

www.SID.ir

الشعراء غرقوا فيه و ماكانوا سوى خراف
و كنت أنت بينهم عرّاف
و كنت فى مأدبة اللئام
:
كان القوافى أصبحت، يا سيدى، كالبغلةِ العرجاء
كان زماناً داعراً، كان بـلا حياء

(المصدر نفسه،ص ٣٣)

فصّور الشاعر، الظروف الأدبيۀ و الفرق الكبير بـين الأديـب الموهـوب و بـين الـشويعر المزيف فلا يستطيع الشاعر المعاصر أن يبوح بهذه الملامح إلّا من خلال شخـصيۀ المعـرى و مايثير اغراب القارىء هو أن البياتى يستدعى شخصيۀ أبى العلاء و يوظفها إلى حدٍ لايمكـن مباشرۀ و إذا يقتضى الأمر يجعل القناع جانباً و يدخل مباشرۀً فى صلب مـا ينويـه و يقـول مايريد.

فى المقطع الخامس «حسرة فى بغداد» ظهرت براعة البياتى و حسن استخدامه للشخصية التراثية إذ توحد فيه الشاعر بمثاله الرمزى (المعرى) اتحاداً تاماً فأبو العـلاء يحـن لمفـارقـة بغداد و دجلۀ تماماً، كما أحس ذات يومٍ و هو فى بغداد بالحنين إلى موطنه:

أبحث عن سحابۀ
خضراء، عنى تمسح الكآبة
تحملنى
إلـى برارى وطنى
إلـى حـقـول السوسن

(المصدر نفسه،ص ٣٤)

فى هذه الأبيات يصور البياتى أو بعبارة دقيقة يوظّف رحلة المعرى إلى بغداد و اقامتـه فيهـا و يصف بصورة دقيقة حنينه إلى بلدته «معرة النعمان» ولا سيما اذا هو لم يلق ما كان يأمله مـن

www.SID.ir

الرحلة تلك و جری ماجری فی بغداد من الاهانة و الاستخفاف له من الادباء و الشعراء فی مجالسهم و البیاتی فی الحنین إلی الوطن یتوحد مع ابی‌العلاء، و القصیدة تفوق قدرَ الظن فی قیمتها الفنیة و قد توافر فیها من الخصائص ماجعلها من القصائد المتمیزة بعدة مظاهر عن غیرها فهی من أنضج القصائد للبیاتی فنیاً، فقد اختفی عبر مسارها الموضوعی مایسود قصائد من نثریة و تعبیر مباشر عن دعاویه السیاسیة فتغلف مضمونه الانسانی- فیها- بوشاح من التصویر الفنی الذی بلغ ذروة الإبداع فی بعض الأحیان.

(انس داود، ۳۶۹)

والحق أن استخدام البیاتی لشخصیة أبی‌العلاء التراثیة أضفی علی تجربته الشعریة نوعاً من التجدید و الاصالة عن طریق إکسابها لوناً من الکلیة و الشمول بحیث تجاوز الزمن فیمتزج فی اطارها الماضی و الحاضر فی وحدة شاملة، و هو ما عبر عنه البیاتی نفسه حینما قال؛ إنی عندما أختار هذه الشخصیة التاریخیة لأتوحّد معها إنما أحاول أن اعبّر عما عبرت هی عنه، و أن أمنحها قدرة علی تخطی الزمن التاریخی بإعطائها نوعاً من المعاصرة.

أدونیس

هو الشاعر البارع الذی اهتمّ کثیراً بالتراث موظفاً معالمه فقد استلهم من التراث و الاسطورة براعته الشعریة کما اعترف هو نفسه، و فی کلامه نوعٌ من الغموض إلی حدٍ یصعب علی المتلقی فهم مقاصده و الحصول علی معرفةٍ حول رموزه الشعریة، فقد وظف من التراث الأدبی کثیراً من الشعراء و منهم أبوالعلاء المعری فی قطعة شعریة سماها «مرآة لأبی‌العلاء» قال فیها:

أذکر أنّی زُرتُ فی المعرة
عینیک، أصغیتُ إلی خطاک
أذکر أنّ القبر کان یمشی مقلّداً خطاک
و کان حول القبر

www.SID.ir

صوتـکَ، مـثـل رجـةٍ، يـنامْ
فی جسد الأيام أو فی جـسدِ الكلامْ

(الأعمال الشعرية الكاملة، ۱۹۲)

ينوّه أدونيس إلى مكانة أبی‌العلاء فی معرة النعمان لأن ذكره و روحـه و جـسده موجـود هناك حتى عابر السبيل إذا يمرّ بهذه المدينة فأول شیء يخطر بباله أو هو التـذكير بـأبی‌العـلاء كشاعرٍ كبير.

قدّم أدونيس فی هذه القطعة المتميزة صورة عن معـرّة النعمـان و إن المقطـع هنـا لايتـابع الاسقاط على الزمن، بل يدلّ على الرمز بالعينين و الخطوة و الصوت، وحالة الحيـاة المـستمرة فی الزمان باسم ابی‌العلاء.

والحق أن فی شعر ابی‌العلاء ما هو أبعد من اليأس أو التشاؤم الفردی، بل فيه ايقـاع انتـهاء ازدهار الحضارة العربية، لقد كان ابو العلاء يقف على منحدر العصر العباسی اذن رؤياه كشاعر تنبأ بالظلام الذی تلا، فقد مات فی صوته كل شوق و أمـل و بـدا بعـض شـعره كأنـه تـأبين لحضارة دانية و تعبير عن ألم دفين و مرارة من الحياة و قلق فی المصير ألا يقول:

كلّ بـيـت للـهدم ما تـبتنی الور قاء و الـسيـد الـرفـيع الـعـماد

(سقط الزند، ۱۲)

لهذا كان لاينبغی أن ينظر إلى تشائم المعرّی على أنه محـدود بنفـسية الـشاعر بـل يتعلـق بمصير الانسان، لذالك فقد وظف أدونيس فی شعره و إن كان قدره قليلاً لكـن المـضمون يـدلّ على اهتمام الشعر الحديث أكثر فأكثر إلى مصدر إلهامٍ للنجاة من الانحدار الذی أخذ مجـراه فی الادب الحديث، و الشاعر الحديث يعبّر عن القضايا الاجتماعيـة و الفكريـة مـستمداً صـوت المعرّی الذی كان و لايزال يعتبر فيلسوف الشعراء.

محمد احمد العزب

شاعر مصری فاز بجائزة الشعر الأولى فی مسابقة المجلـس الأعلـى للفنـون بالقـاهرة عـام

www.SID.ir

۱۹۶۳م له دیوان «مسافر فی التاریخ» الذی کتب قصائده الرمزیة فیه و وظف الشخصیات التراثیة القدیمة کثیراً فی هذا الدیوان و کأبی‌العلاء المعری الذی یبدأ توظیفه بهذه الابیات:

و یصیحون

«المعری»

شاعر السقط

رهین المحبسین

فأصلی تحت رجلیه

و استجدی الأمان

(مسافر فی التاریخ، ۹۲)

کما یبدو من اسم هذه القصیدة تحت عنوان «المحاکمة» قد عبّر الشاعر فیها عن تجربة حیاته المّرة و یقول فیها ان الناس ینادون بالمعرّی و یستنجدون به و یشیر إلی ألقاب المعرّی و مکانته حیث یرون منه الأمان و یصلّی تحت رجلیه قائلاً:

و َهْوَ فی رفق یقول

یا رفاقی

لا تقولوا للذی جاء إلینا أین کان

(المصدر نفسه، ۹۳)

صور محمد أحمد العزب بعفویة غنائیة موحیة أجواء الانفعالات الشعوریة لترسم فی التعبیر الرمزی ابعاد الحرمان و العذاب اللذین یعانی منهما الانسان العربی فی عالم الواقع و یأتی التعبیر فی اسلوب ساذجٍ و عمیق فی آن واحد.

و تأتی هذه السذاجة نابضة بالصدق الانسانی أثناء اصطدامها بالاحزان و المآسی ألا تراه یقول:

أین من خارطة الأحیاء و الأشیاء کان؟

حسبه.... قد کان فی الدنیا.... و فی قلب الزمان

عنصراً یقتات منه العنصران

Archive of SID

www.SID.ir

كأنّ الشاعر يتطلع فی هذه الابيات إلی الثورة علی القتلة و الظالمين، و الثورة علی التعری الاخلاقی و المآسی، و يعبر عنها برمزية تلفّها موسيقی موحية:

خـفّـفوا الوطءَ

فما للحرف و الشاعِرِ فی المأساةِ يا قومُ يَدان!!

و يـهيج النّـار فی قلبی

(المصدر نفسه، ۹٤)

فبيّن الشاعر موقفه ازاء المجتمع موظّفاً أباالعلاء المعتقد بالفلسفة الخاصة و ترجيح العقـل فی شؤون الحياة فيؤكّد أنه ليس فی زمنه إزاء المجتمع (بما فيه المأساة) يد قوية و تأثير واضح لكی يقوم بدور الاصلاح فقط يئن أنين انسان مقيّد بالقيود و حولـه تـدور المـشاكل و المـصائب، بعدئذٍ يقول:

فأهـذی فـی انْـفعال

أخرسوا هـــذا المـعرّی..

أو فـــردّوه يـقـول الشـعرَ فـی حزن معاصِرْ

مايزال الشاعـر الهارب يـحلُمْ

ويغـنّـی للعناصـر

ليتـه يعلم أن الأرض نَهدٌ مسـتَباحْ

لملايـين القياصـرْ!!

(المصدر نفسه، ۹٤)

يدخل الشاعر فی صلب التوظيف و يؤكّد علی أنْ يكون الشاعر فی حزن و صمت و لـيس له دورٌ إلا الهرب و الحلم و الغناء للعناصر، و تنتهی فكرة الشاعر فی هذه الاحداث الحزينـة و لابدّ له إما أن يصمت مكتوفة الأيدی ويلجأ إلی مظاهر الطبيعة كالرومانسيين أو يعبّر صراحةً عن انزعاجه أو معارضته للواقع الموجود فی البلاد العربية، فمحمد احمد العـزب يتحـدث عـن سلبيات الواقع و همومه و هی أمور عرفها المـواطن العـربی، و يـری وظيفتـه فی بـث الـروح

www.SID.ir

الایجابیة لتجاوز المحن فی المستقبل القریب.

فاروق شوشة

قد وظف الشاعر فاروق شوشة شخصیة ابی‌العلاء فی قصیدة «أبوالعلاء المعری»و نظر إلی حیاة ابی‌العلاء و اختار منها مایتناسب مع تجربته الخاصة من اعتزاله و الانغلاق علی نفسیته و حفظ اسراره یقول فیها:

اللیلُ فی «معرة النعمان» جاثم عنید
تلاصقت الواحه کحائطٍ صفیق
وامتدّ من حبالهِ الغلاظِ وجهُ فاتکٍ جسور

(الأعمال الشعریة الکاملة، ۲۳۵)

وجد الشاعر فاروق شوشة اللیل فی معرة النعمان جاثماً عنیداً یطبق علیها الدیجور و الظلام تُشمّ من الکلمات رائحة الضیق و الخناق المطبق، فیجد القارىء اسرار الحیاة فی مقابل قصور أبصار الانسان المعاصر:

الکون یا صحاب فی قلوبنا یضیءُ
حین تمیلُ للرحیل زهوةُ العیون
فتبصرون ... . یالهول ما ستبصرون!
و تشرق الجوانح الدفینة.

(المصدر نفسه، ۲۳٦)

و دائرة العالم موسّعة جداًّ و من یجد العالم فی زهو العینین مشرقاً یحصل علی المعارف الکثیرة و ینتج من هذه المقابلة نوعٌ من المفارقة التصویریة حیث یستطیع الضریر ببصیرته أن یعانق سر الحیاة حیث تساقط الأوهام و الخوف و یصبح الموت صدیً و تصبح الحیاة حزمة من الظلال بینما یظل المبصرون یتیهون و یتمنون لو استطاعوا أن یصلوا إلی صفاء عالم المحبسین بما فیه من ضیاء البصیرة، فی هذه الابیات لمحات کثیرة موظفة عند فاروق لتدّل علی الدلالات المعاصرة و للتعبیر عن التجارب الشعریة المعاصرة و الشاعر أحسن التصویر و فی

Archive of SID
www.SID.ir

الأبيات التالية يسأل:

هل آن للإنسان أن يجاوز الآلام
مهاجراً من عالم الملال و السآمة
إلى صفاء المحبسين
و عالم النقاء .... و الكرامة!

(المصدر نفسه، ۲۳۸)

المتتبع لحياة فاروق شوشة يرى فيها الظلام المطبق و الدواعى الكثيرة إلى التشاؤم لذلك قد صوّر حياته أو تجربته موظفاً شخصية أبىالعلاء لأنه هو الممثل الحقيقى للقضية الفكرية و التأمل فى الحياة لكن الشاعر أخذ موقف أبى العلاء السلبى تجاه الحياة و أضفى عليها الدلالات المعاصرة أما البياتى كما مرّ فقد اعطاه موقفاً ايجابياً لذلك تفنّن البياتى أكثر فى التعامل مع التراث و هنا يدخل مباشرةً فى مناداة الشاعر القديم:

يا شيخنا، يا شيخنا الضرير
هل آن للإنسان أن يطاول السماء
بنبض قلبه الصغير حين تومض العينان بالأحلام!
بقبضةٍ لم تتسع للمسة السلام
لكنها تغوص فى ذبائح الدمار و الحطام

(المصدر نفسه: ۲۳۹)

و يعدّ فاروق شوشة القَدَرَ كلّ شيءٍ فى الحياة، و يسأل أباالعلاء مباشرةً لكن كما يتضح يجب فى الاستدعاء أو التوظيف أن يختفى الموظف ولايظهر كمتكلم بل يتكلم على لسان الشاعر القديم الذى وُظّفت شخصيته.

نجيب سرور:

هو من الشعراء المعاصرين الذين وظفوا شخصية ابىالعلاء و استدعوها فى شعرهم و قد انشد قصيدة «حوار مع ابى العلاءالمعرى» إذ عقد فيها حواراً شاملاً يستعرض فيه مع أبى العلاء

www.SID.ir

أحوال الحياة والشعر و الشعراء و ما وصل إليه الشعر من الرداءة والضعف والقصور، يستهلها الشاعر:

عم صباحاً يا معلم!
عم مساءاً كان أولى أن تقول
فصباحی كالمساء

(ديوان لزوم مايلزم، ٣٧)

تظهر النزعة التشاؤمية فی الشعر بما يساوی الصباح مساءاً و يستمر فی القول:

سيدی كم حرت فطی امرک.... حقاً لست أفهم
كيف يغدو ثائر القوم و لوعاً بالقيود
– كنت أهفو للخلود
– كان يغنيک الذی يلزم عما ليس يلزم
– لاتكونوا كالثعالب
تدعی فی العجز زهداً فتسمی الكرم حصرم

(المصدر نفسه، ٣٨)

يبدو أن نجيب سرور بدأ بالشكوی مخاطباً أباالعلاء بما وصل إليه الشعر و الشعراء ويشير إلی ما تمسك به أبوالعلاء من المبادیء التی لاتلزم و يقول:

ما عجزنا و يمينا بالخليل
كلنا قلنا من الشعر المقفی

قبل أن ننظم من غير المقفی

(المصدر نفسه، ٤١)

فيتعجب الشاعر مشيراً إلی قول الشعر المقفّی بعد ذلك أضفی أسلوب الحوار فی القصيدة و يخاطب المعری:

Archive of SID

www.SID.ir

هات شيئاً من مـقفاك القديم

هـــــيـــئوا اللـــــحد و الكفـــــن　　هـــــــا هـــــنا غـــــاية البـــدن

ملـــــت النـــــفس عيـــــــشها　　و غـــــــدت تـــــطلـــــب السـكن

شـــــدت الـــــــروح للثـــــرى　　لـــيتـــــها تـــــــقطع الـــــــرسن

علّهـــــــا تعـــــــرف الـــــذى　　غـــــــاب فـــــى التـــيه و ادَّفَـــن

(المصدر نفسه،ص ٤٢)

فهذه الأبيات و إن كانت معناها و مغزاها من عقيدة الشاعر، ابى‌العلاء، لكن هنا وظّفت فى ادب نجيب سرور و إن دلالة إيراد الشاعر لهذه النماذج واضحة و هى «نقد الغثاث الذى يملأ الجو الثقافى، إن المضمون الحقيقى للقصيدة و ديوان الشاعر هو نقد لاذع لكلّ إحباطات المجتمع و أدرانه». (أحمد مرتضى عبده، ١٩٨٥: ٥٠)

و يظهر أن نجيب سرور لم يستتر وراء ملامح شخصية أبى‌العلاء ليبثّ من خلالها خـواطره و افكاره كما رأينا عند البياتى- و إنما حاول أن يضفى على الشكل الفنّى لتجربتـه لونـاً مـن الدرامية لإستخدام الحوار كوسيلة فنية للتعبير عن ملامح و قضايا عصرية، و قد لجأ الـشاعر بسبب تشعّب الحوار حول عدد من القضايا إلى بعض الاشارات أو الايحاءات الثقافيـة و ذكـر بعض أبيات أبى العلاء عند مناقشة حقيقة عزلته و غموض موقفه قائلاً:

أيها الثائر لِمَ لُذت بـدارک؟

لِمَ لَمْ ترحلْ؟

إلى أين الرحيل؟

أىّ فرق بين أن أنفى بـعصرى؟

لوتروم الـصدق- أو أنفى بـدارى

أو أرانى ضائعاً فى غير دارى؟

(ديوان لزوم مايلزم، ٤٤)

www.SID.ir

قد استدعی الشاعر شخصیة المعرّی و ما تتمیز بها من العزلة و التشاؤم و رفض الحقائق الموجودة، و استفاد من خصائص أبی‌العلاء و ماینویه من الأفکار و ضمّنها فی قصیدته بشکل الحوار واعطی للقصیدة اللون الدرامی و کما یتضح من عنوانها و الأفکار فی طیّاتها قد استمدّ من جرأة و جسارة أبی العلاء للتصریح بما یجری فی ذهنه.

المعارضات

من طرق اتصال الشعراء المعاصرین بالتراث الأدبی المعارضات التی اهتمّ بها بعض الشعراء المحدثین لقصائد من المعّری، ویبدو أن همّ هؤلاء من المعارضة کان «بلوغ المستوی الفنی الراقیِ الذی وصل الیه کبار الشعراء القدامی و الارتفاع علیه إن أمکن». (عزالدین اسماعیل، ١٩٦٧: ٦٣)

من الشعراء الذین عارضوا أباالعلاء؛ أحمد شوقی و ایلیا أبوماضی و إبراهیم صبری، ....: قد عارض شوقی أباالعلاء بقصیدتین و فی المعارضة مایدلّ علی الصلة القائمة بین الشاعرین؛ فأولی القصائد التی عارض فیها شوقی هی رثاء إسماعیل صبری و مطلعها:

اجل و إن طال الزمان مواف أخلی یدیک من الخلیل الواقی

(الشوقیات، ١٠٤)

و هی معارضة لقصیدة أبی‌العلاء فی رثاء الشریف أبی أحمد الموسوی و مطلعها:

أودی فلیت الحادیات کفافِ مالَ المُسیف و عنبر المستاف

(سقط الزند، ٣١)

القصیدتان متفقتان فی الوزن و القافیة و فی الموضوع إلی حد بعید و قد أخذ العقاد هذه المعارضة علی شوقی و تجاوز حدّ النقد و المناقشة إلی الهجوم علیه و قلل من قدر القصیدة إذا ما قیست بقصیدة المعری.

قد حاول شوقی أن یتخذ بمعارضة قصیدة أبی‌العلاء سبیلاً إلی المثل الفنی و لکنه فی کثیر من الحالات لم یستطع أن یتجاوز ذلك المثل أو الارتفاع علیه و هذا لایعیب شوقی، لأنه لم

Archive of SID
www.SID.ir

یکن یقصد من المعارضات أن تحمل کل جدید و أن تقدم تجارب غیر ما یعنیه أو یعانیه فی صورها و ایقاعها اذ کان لشعراء حرکة الاحیاء دور یتمثل فی استلهام التراث لذلک کان من الطبیعی أن یبدأ نتاجهم فی معارضتهم بالتقلید.

و قد نظم ایلیا أبوماضی قصیدة فی رثاء أبیه و فیها یقول:

طوی بعض نفسی إذ طواک الثری منی وذا بعضها الثانی یفیض به جفنی أبی خاننی فیک الردی فتقوضت مقاصیر أحلامی کبیتٍ من التبن

(الدیوان، ۷۲۹)

و هی معارضة لقصیدة أبی‌العلاء التی رثا فیها أباه و مطلعها:

نقمت الرضا حتی علی ضاحک المزن فلا جاءنی إلا عبوس من الدجن

(سقط الزند، ۱۳)

و القصیدتان متماثلتان فی الوزن و القافیة و الموضوع و الافکار الرئیسة العامة فتبدأ القصیدتان بأبیات تبین مدی الحزن و الألم للمصیبة التی حلّت بهما، اذا نمعن النظر فیهما: ندرک مدی بساطة أسلوب أبی ماضی و مجانبة التکلف و المبالغة و فی قصیدة ابی‌العلاء نلاحظ فی الاسلوب أمرین هما: التلاعب بالالفاظ و المبالغة المتکلفة.

و هذا کله یؤکّد أن أباماضی رغم حرصه علی التعبیر عن ذاته قام بمجاراة أبی‌العلاء فی افکاره و فی الفاظه و تراکیبه و لعل اختیار أبی‌ماضی نظام قصیدة المعارضة یدلّ علی مانجده فیها من تأثر واضح و لم تعد المعارضة عنده بغرض المحاکاة أو التحدّی بل هی لتسجیل التراث دون اضفاء دلالات معاصرة علیه، و دون توظیفه فنیاً للتعبیر عن قضایا جدیدة کما هی الحال بالنسبة لکثیر من معارضات شعراء مدرسة الإحیاء و اصبح علیه أن ینظر إلی التراث من خلال رؤیة عمیقة یحاول من خلالها اکتشاف الکثیر من القیم الفکریة و الفنیة، وذلک من خلال قراءته و تمثله ما یتجاوب مع همومه المعاصرة و رفض ما لا یصلح منه للتعبیر عن تجارب جدیدة.

و مجمل القول أن معارضة الشعراء المعاصرین لأبی‌العلاء المعرّی تمثل إضافة تراثیة للشعر

www.SID.ir

الحدیث، ففیها نوعٌ من المزاوجة بین الاصالة و المعاصرة، استطاع الشاعر أن یعبّر من خلالها عن انتمائه إلی التراث باستلهام القصائد المشهورة و معارضتها و اتخاذ ذلک وسیلة للإفصاح عن مضامین فکریة و مشاعر ذاتیة.

النتیجة:

فی نهایة هذه المقالة یستنتج أن أباالعلاء المعرّی بشخصیته المتمیزة و علمه الواسع و أدبه الرفیع و موهبته الشعریة أثّر فی الشعراء المعاصرین کثیراً فهذا التاثیر یتمثل فی تقدیم بیت أو أبیات من قصائده الشعریة فی شعر الشعراء المعاصرین متمنین و متفائلین أن تکون قصائدهم فی مستوی شعر ابی‌العلاء فنیاً و الاسلوب الآخر لتأثر الشعراء المعاصرین بأبی‌العلاء هو انتهاج نهجه الفنی فی لزوم ما لایلزم فالشعراء؛ احمد مخیمر، و عبداللطیف عبدالحلیم و غیرهما قد تمسّکوا بالأسس التی لزمها ابوالعلاء فی أثره؛ و الشعراء المعاصرون قد وظّفوا شخصیة أبی‌العلاء لعدة اسباب بملامحه الواضحة متمثلاً فیها. النموذج الفکری و الأخلاقی و الفنی المتکامل فی الادب القدیم للتعبیر عن التجارب الشعریة المعاصرة و من الشعراء الذین استلهموا أباالعلاء فی ادبهم؛ عبدالوهاب البیاتی، فاروق شوشة، نجیب سرور و ادونیس و محمد احمد العزب و الباحث اهتمّ إلی جانب هذه الطرق الثلاثة بقضیة لها دور وافر فی الشعر الحدیث و هی المعارضات الشعریة التی قد عارض أباالعلاء المعری شعراء کبار أمثال احمد شوقی و ایلیا ابوماضی و ابراهیم صبری الذین قصدو بها إحیاء التراث الأدبی فی الشعر.

المراجع

ابوماضی، ایلیا، *دیوان*، بیروت، دارالعودة، ١٩٨٩م.

ادونیس (علی احمد سعید)، *الاعمال الشعریة الکاملة*، ج ٢، ط ٤، بیروت، دارالفکر، ١٩٥٦م.

اسماعیل، عزالدین، *الشعر العربی المعاصر*، القاهرة، دارالکتاب العربی، ١٩٦٧م.

البیاتی، عبدالوهاب، دیوان «*سفر الفقر و الثورة*»، بیروت، دارالآداب، ١٩٦٥م.

الجندی، علی، *البلاغة الفنیة*، ط ٢، القاهرة، الأنجلو المصریة، ١٩٦٦م.

حسین، طه، *مع ابی‌العلاء فی سجنه*، القاهرة، دارالمعارف، ١٩٦٣م.

Archive of SID

www.SID.ir

داود، انس، *الأسطورة فی الشعر العربی الحدیث*، ط۳، القاهرة، دارالمعارف، ۱۹۹۲م.
راشین، جوزیف، *فجر الحیاة*، ترجمة عبدالحلیم منتصر، القاهرة، مؤسسة فرنکلین، ۱۹۶۳م.
سرور نجیب، *دیوان لزوم مایلزم*، ط۲، القاهرة، مکتبة مدبولی، ۱۹۸۵م.
شروح سقط الزند، ج ۱ و ۲، تحقیق لجنة باشراف د.طه حسین، القاهرة، الدار القومیة للطباعة، ۱۹۶۴م.
شوشة، فاروق، *الأعمال الشعریة الکاملة*، المجلد الاول، بیروت، دارالعودة، ۲۰۰۴م.
شوقی، احمد، *الشوقیات*، ج۳، القاهرة، المکتبة التجاریة للطبع، ۱۹۸۳م.
عبدالحلیم، عبداللطیف، *لزومیات و قصائد اخری*، القاهرة، دارالثقافة العربیة، ۱۹۸۵م.
عبدالصبور، صلاح، *حیاتی فی الشعر*، ج۳، بیروت، دارالعودة، ۱۹۷۳م.
عبدالعزیز، ملکة، *دیوان «اغنیات اللیل»*، القاهرة، الهیئة المصریة العامة للتألیف و النشر، ۱۹۷۱م.
عبده، احمد مرتضی، *قراءة فی الشعر المعاصر*، القاهرة، الهیئة المصریة العامة للکتاب، ۱۹۸۵م.
العزب، محمد احمد، *مسافر فی التاریخ*، دمشق، منشورات وزارة الثقافة و السیاحة، ۱۹۷۰م.
المعری، أبو العلاء، *دیوان لزوم مالا یلزم*، ج۱، به کُوشش امین عبدالعزیز، بیروت، دارالفکر، ۱۹۵۶م.
المعری، أبوالعلاء، *سقط الزند*، به کوشش ابراهیم الزین، بیروت، دارالفکر، ۱۹۵۶م.
الملائکة، نازك، *الصومعة و الشرفة الحمراء*؛ دراسة فی شعر محمود طه، بیروت، دارالعلم للملایین، ۱۹۷۹م.
ناجی، هلال، *الزهاوی و دیوانه المفقود*، القاهرة، دارالعرب البستانی ،۱۹۶۳م.

Archive of SID

www.SID.ir